المحاضرة السابعة:

منهج دراسة الحالة

تعتبر دراسة الحالة من أقدم وأهم الطرق التي استخدمت في البحث الاجتماعي لوصف وتفسير لخبرات الشخصية والسلوك الاجتماعي، إذ ترجع بداية استخدام هذه الطريقة إلى القرن التاسع عشر أو قبله بنحو من السنوات قليل، حيث كان الإنجليزي "أورى" أول من استخدم هذه الطريقة في تناوله الآثار الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على استخدام الآلات الميكانيكية، ثم جاء "فردريك لوبلاي" ليضفي على استخدام هذه الطريقة طابعا منهجيا منظما، وذلك عندما استعان بها في دراساته عن اقتصاديات الأسرة وغيرها من العناصر الهامة في البناء الاجتماعي، ثم وسع "هربرت سبنسر" من نطاق استخدام هذه الطريقة في البحث حتى تشمل على جمع أكبر قدر من الوثائق الإثنوجرافية عن الإنسان البدائي، ثم دفع "توماس وزنانيكي" في دراساتهم الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا بهذه الطريقة إلى الأمام، فقدمت دراستهم مثالا حيا على استخدام هذه الطريقة في البحث الاجتماعي وإمكانياتها ومميزاتها وعيوبها.

ومنهج دراسة الحالة هو منهج يهتم بجميع الجوانب المختلفة لشيء أو موقف واحد، على أنه يعتبر الفرد أو المؤسسة أو المجتمع أو أي جماعة أخرى كوحدة للدراسة. إذن فهذا المنهج يقوم على الدراسة الشاملة لهذه الوحدة بحيث يمكن رسم صورة كلية لها في علاقاتها ضمن سياقها.

وتتم دراسة الحالة لأي من المؤسسات أو القائم بالاتصال في اتجاهين:

الأول: دراسة الوثائق الخاصة بالنظم والأفكار، بالبحث المتعمق والمركز أكثر من دراسة تحليلية لعينة منها. مثل دراسة سياسات ونظام مؤسسة صحفية تتطلب دراسة الاتجاهات الخاصة بمحتوى إصداراتها الصحفية، وذلك في إطار وصف المؤسسة وحدها، والخروج بأوصاف دقيقة لهذه الجوانب وتسجيلها.

الثاني: دراسة الأفراد، ويشمل ذلك الأفكار والاتجاهات والآراء والدوافع والمشاعر، من خلال المقابلة المتعمقة للكشف عن أساليب الممارسة المهنية، والمهارات المختلفة في مجالات العمل.

وعلى سبيل المثال الدراسة المتعمقة لكاتب معين، تتطلب دراسة: تاريخه/ واتجاهاته/ وأساليب الكتابة التي يتبناها/ وإنتاجه/ واتجاهات هذا الإنتاج السياسية والاجتماعية... إلى آخره.

وتتميز دراسات الحالة بأنها:

- دراسات تعتمد على جمع أكبر عدد من المعلومات والبيانات عن الوحدة المدروسة.
- دراسات تعتمد على مصادر متعددة للمعلومات والبيانات.
- لا يصلح منهج دراسة الحالة أن يكزن أداة للتعميم.
- إن تقرير إجراءات وخطوات منهجية للعمل في هذه الدراسات لا يعني أن تتم بنفس الترتيب، بل إن الكثير من الإجراءات يمكن أن تتم على التوازي، أو تتقاطع مع بعضها للوصول إلى المعلومات والبيانات وتسجيلها في الوقت المناسب، وفي السياق الذي يسمح بالتفسير الدقيق للنتائج.

وما يعاب على دراسات الحالة، أنها:

- تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير.
- يصعب عن طريقها دراسة المجتمع كثير العدد .
- تتسم بالذاتية بقدر كبير في إجراءاتها وبناء تفسيراتها.

ويتبع الباحث في دراسات الحالة الإجراءات المنهجية الآتية:

- تحديد الأبعاد ذات العلاقة بالمشكلة أو الظاهرة العلمية.
- تحديد نوعية البيانات والمعلومات المستهدفة في الأبعاد السابق ذكرها.
- تحديد مصادر هذه البيانات.
- تحديد وتصميم أساليب جمع البيانات وأدواتها.
- جمع المعلومات وتسجيلها وتحليلها.
- صياغة النتائج وتفسيرها.

وفي مجال دراسات الإعلام يتضمن تطبيق منهج دراسة الحالة في دراسة حول دور وسائل الإعلام في التغيير الاجتماعي في قرية بنينة، على سبيل المثال مرحلتين أساسيتين، هما:

- تستهدف المرحلة الأولى تقديم وصف للحالة المخضعة للدراسة "قرية بنينة"، للتعرف على الموقف الكلي الذي يمثل مكونات أساسية للحالة، وذلك من حيث:

- تاريخ القرية بالرجوع إلى الكتب والمراجع والمؤلفات القديمة والوثائق الرسمية والمصادر الحية.
- دراسة الحالة الاجتماعية للقرية بالرجوع إلى الإحصائيات والبيانات الرسمية للتعرف على عدد السكان، وعدد الأسر، سجلات المواليد والوفيات، حالات الزواج والطلاق والوحدات السكنية وغيرها.
- دراسة الحالة الاقتصادية للقرية، المهن السائدة والمهن الأكثر شيوعا، كالزراعة.
- سبل الاتصال بأقرب المدن، المواصلات، عدد السيارات ووسائل النقل الأخرى.
- المرافق والمؤسسات الخدمية، كالمدارس والمستوصف وخدمات البريد والأندية وخدمات الأمن والجمعية التعاونية والأسواق.
- عدد أجهزة الراديو والتليفزيون في القرية.
- الصحف والمجلات التي تصل إلى القرية بصفة منتظمة.

- تستهدف المرحلة الثانية الكشف عن الدور الذي لعبته وسائل الإعلام في التغيير الاجتماعي بإخضاع عينة ممثلة أصدق تمثيل للقرية (كمجتمع للبحث) لمقابلات وملاحظات بهدف التعرف على اتجاهات التغير ودور وسائل الإعلام في ذلك من حيث:

- مدى المعرفة بالقضايا المحلية.
- مدى المعرفة بالقضايا القومية.
- مدى المعرفة بالقضايا السياسية.
- مدى المعرفة بالقضايا الاجتماعية.
- مدى المعرفة بالقضايا الثقافية.
- التعرض لوسائل الإعلام.
- التعلم من وسائل الإعلام.
- تملك الأجهزة.

المراجع المعتمدة:

- وليدة حدادي: منهجية البحث في الدراسات الإعلامية (الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية)، دار أسامة، عمان، 2020.
- د.وليدة حدادي: مناهج البحث الإعلامي (الأسس العلمية ومجالات التطبيق)، كتاب "سؤال المنهج في العلوم الاجتماعية (بين الخرائط الفلسفية والإجراءات البحثية)"، جمع و إشراف وتقديم: د. عبد الرزاق بلعقروز، منتدى المعارف، بيروت، 2019.